
دراسة فلسفية
أيمكن أن نحب أو نكره ببساطة دون أن نقع في فخ التمييز

عبدالماجد
أحمد حمودة

هل من الخطأ أن نكره أو نحب أحدهم بسبب أشياء به لا دخل له فيها كـ" اللون، الانتماء أو غيرها"

فأنا نفسي كنت أظن أن الأمر بسيط أي أنني من صميم فؤادي أو ربما من بين التشابكات العصبية المعقدة داخل مخي كنت أظن أن الأمر بهذه البساطة"لا يمكن لإنسان أن يكره إنسان أخر بسببٍ ليس له فيه إختيار كلون

بشرته أو انتمائه الإثني أو اي من الأسباب الأخرى التى ليس لنا أي دخل في تلازم وجودها معنا أو فينا" وربما لا زلت أظن ذلك، هذا من جانب الكره ولكن الأغرب في الأمر أنني وجدت نفسي أملك ذات الشعور تجاه الحب، وحتى لا يلتبس الأمر عندكم يجب لي أن أوضح ما اقصد، عندما أقول ذات الشعور أو ذات وجهة النظر تجاه الحب؛ فأنا لا أقصد أنه لا يمكن أن نحب أحداً بسبب لونه أو إنتمائه، ففي الحقيقة أو ربما ما يعتبر حقيقة آنية؛ لأن حتى

الحقيقة اليوم قد تصبح في اللحظة القادمة مجرد ضرب من الخرافة وهذا ما حدث مع أغلب ما كنا نظنه حقيقة لذا لا أستبعد أن يحدث ذات الأمر مرة أخرى، بل أنني متيقن من ذلك، أنه حتماً سيحدث ولا محالة سيحدث اليوم أو غداً أو في أي لحظة قادمة، لذا فأنا لا أجزم أن الحقيقة اليوم ستظل ذاتها في الغد، ولكن على الاقل فيما يبدو حقيقة حالية أن هذا النوع من الحب هو الأكثر شيوعاً" الحب بسبب اللون أو الانتماء لجهة ما

أيٍ كانت"، ربما سيقول البعض أن هذا النوع من الحب غير حقيقي أو على الأقل يمكن وصفه
بالسطحي ولا يمكن أن يصمت أمام تغلبات الدهر، بل دعوني أقول لكم صراحة أنكم بكل تأكيد قد فكرتم في هذا وقلتم لأنفسكم ما قلت لكم، أي بإختصار لن يدوم هذا الحب وقبل أن أخيب ظنكم وأجيب وأبرهن على ذلك، أريد أن ألقي إليكم بسؤال، نعم أريد أن ألقي إليكم بسؤال وأنني أعطى نفسي الحق في سؤالكم وإن كنتم غير مستعدين لذلك، لأن

المرء "وهنا اقصدكم" كثيراً ما يكون منشغلاً بالبحث عن إجابات دون أن يعد نفسه لتلقي الأسئلة، لذا في هذه اللحظة بالذات، لحظة انشغالكم بالبحث عن أجوبة سالقي عليكم بسؤالي هذا، ما الذي يجعلكم تحبون أمرئ أخر؟ نعم إن هذا هو سؤالي بهذه البساطة فقط، ولكن قبل أن تشرعوا في الإجابة أريدكم أن تتأملوا سؤالي جيداً حتى لا تقعوا في فخ الإجابات المعدة على قوالب من فخار أي ذاك النوع من الأجوبة الهشة والتي تراود

العقول في كل مرة تمر بمثل هذا النوع من المواقف، واسمحوا لي مرة أخرى بأن اخترق عقولكم وأخمن، ففي الحق أنني لا اخمن بل أنني أطلع على ذات أجوبتكم المعدة سلفاً، وها أنا أكشف عنها الغطاء.

هل ستقولون لي: أننا نحب أحداً أخر بسبب أخلاقه! نعم هذه هي

الإجابة المعدة في قالب من فخار بل يمكن أن يوصف بأنه فخار رقيق ومن صنعه لا يجيد فن صنعة الفخار، لأن هذا القالب حالما ينكسر سيوقع صاحبه في

براثن من الأسئلة اللانهائية، و مرة أخرى وبكل تأكيد ليست أخيرة دعوني أدخل مع هذا الصانع أول براثن الأسئلة، أي نوع من الأخلاق تقصده؟ ربما سيقول صاحبكم هذا بالطبع أقصد

الأخلاق الحسنة، ومن لا يحب صاحب الأخلاق الحسنة؟!، وسأتوغل معه قليلا ً في هذه البراثن ما دام قد قرر الدخول فيها طوع نفسه، وسالقي عليه السؤال التالي: ما الذي تقصده

بالحسنة؟! صدقني أنا لا أستهزئ بك ولكنني في حيرة من أمري

وأريد أن أفهم ما تقصده بالضبط حتى لا أسيء فهمك وهنا سأقول لك شيئاً أو ربما سأنقل لك نصاً كتبته سابقاً في هذا الصدد ولكن قبل أن أنقل لك النص سأقول لك أن هذا هو مجرد رأي من شخصي البسيط.

....قد يظن البعض أن الأخلاق تنتج من التحليل العقلي للأشياء ولكن إذا نظرنا إلى معظم تصرفاتنا التى نعدها أخلاقية، نجد أننا فقط إكتسبناها عن طريق المحاكاة، أي أننا نقلد ما

نراه سائداً في مجتمعنا دون الرجوع إلى التحليل العقلي، وحتى إن فعلنا ذلك غالباً ما تكون النتيجة الشك في حكم العقل وليس في مبدئية التصرفات، وينتهي الفرد إلى أن هذا التصرف يتماشى مع التحليل العقلي للجميع، وأنه هو وحده فقط من لم يستطيع أن يتعقل ذلك، أو بطريقة أخرى يمكن أن نقول أن الأفراد يميلون إلي الجماعة و التي بدورها تخضع للتفكير العاطفي والإرتبطات الأخرى كالجانب الديني، الثقافة المحلية

السائدة، درجة تأثر المجتمع بالتعليم الرسمي"مدارس، جامعات، معاهد..."، وهذه العوامل بدورها تشكل إطار يحدد نظرة الأفراد لما يدور حولهم من أحداث، وذلك يبدو واضحاً في تشكل أخلاق المجتمعات، بحيث نجد أن كثير من الأفعال تعتبر من الأخلاق الحميدة عند بعض الجماعات بينما نجد أن نفس الفعل يعتبر من الأفعال المخزية عند جماعة أخرى، كمثال على ذلك: ظاهرة العلاقات الجنسية قبل الزواج عند مجتمعات أوربا

وأمريكا تعتبر ظاهرة مقبولة، بل نجد أن بعض الآباء يشجعون أبناءهم على العلاقات مع الجنس الأخر، ونجد أن الغالبية العظمى من الأزواج في هذه البلدان ينتقلون للعيش معاً قبل الزواج بفترات قد تمتد إلى سنوات، بينما في مجتمعات الشرق الاوسط نجد أن هذا النوع من العلاقات يعتبر عار، ومن يفعل ذلك يعتبر إنسان غير سوى، وتوجد قونين رادعة لكل من تسول له نفسه بأن يأتي بهذا النوع من الأفعال، ويوجد أمثلة كثيرة من هذا النوع

، ومن هنا نجد أن الأخلاق لا تخضع للتحليل العقلي كالرياضات ، الفيزياء،....وغيرها من العلوم التي يمكن تطبيقها تجريبياً وبالتالي لاتخضع لنفس المعايير التحليلية عند كل المجتمعات.

ربما يبدو أنني ابالغ قليلا ً أيها الصاحب، وأعذرني لأنني أبحت لنفسي بأن أطلق عليك لفظ "صاحب" بالرغم من أنك ربما ترفض ذلك،وسأقول لك مرة أخرى بعد أن أستميحك عذراً على تطفلي واخذي لهذا الدور"أي

دور الصاحب". أيها الصاحب فمن خلال السرد السابق أرى أن الأخلاق تتشكل عبر المجتمع أو بالأحرى الانتماء لجهة معينة وهذ ما لا تريد الوقوع فيه أليس كذلك؟ فإنك حسب وجهة نظرك فإن حبك يجب أن يكون لذات الشخص وليس لإنتمائه وربما ستحاول أن تبرر لي بإن هذا ليس ما تقصده بالضبط بل أنك تقصد شيئاً آخر وها أنا أنظر إليك تقف حائراً لا تستطيع أن توضح ما الذي تقصده بالضبط.

وبعد أن فرغت من هذا الصاحب

ربما سيقفز صاحب أخر أو مجهول أخر ويثب على أذنيه ويقول..مهلا ً ربما يظن البعض أنني قد أرتكبت خطأً عندما قلت يثب على أذنيه ولكنني أؤكد لكم أنني أقصد ذات

الجملة"يثب على أذنيه" وهذا ما ستدركونه لاحقاً، سيثب هذا الشخص على أذنيه ويقول: هناك أسباباً أخرى للحب تتمحور في ذات الشخص مثل: الذكاء، المال،

التوافق في الطموح والهوايات،
الإحترام ،و التقوى...الخ
حقاً أيها الواثب أنك لساذج،
سأقول لك أولا ً أنك لم
تسمعني جيداً عندما تحدثت عن
الأخلاق وهذا واضح من خلال
ذكرك لكلمتي الإحترام والتقوى،
وسأطرح عليك هذا السؤال: هل
الإحترام هو ذاته في كل
المجتمعات؟ لا تستعجل وترد بل
أنا سأريحك من فخ الإجابة
وسأجيبك بالمثال التالي: إحترام
الوالدين، وسأخذ البنت كمثال

فالبنت المحترمة عند الشرق الا وسط هي التي ترتدي الحجاب وتتقوقع في غرفتها بمجرد حضور أي ذكر من غير المحارم، لا تتحدث مع الغرباء إلا لإسباب غاية في الضرورة وتتزوج بإختيار والدها، أما البنت المحترمة عند مجتمعات الغرب هي التي ترتدي ثياب قصيرة وتطلق شعرها وتضحك بغنج وتسكب النبيذ لإصدقاء والدها وتعتبر أكثر احتراماً لو أنها تحصلت على صديق بمجرد دخلوها مرحلة البلوغ وإنتقلت

للعيش معه، أنظر أيها الواثب إلي
إختلاف نظرة المجتمع للإحترام
وقبل أن نخوص أكثر في ضرب
الأمثال والبحث عن المفارقات
في نظرة المجتمع للإحترام، دعنا
معاً ننظر للكلمة الأخرى" التقوى"
ونرى علاقتها بهذا الموضوع:
التقوى كلمة فضفاضة وهي الأ
خرى تختلف في معانيها حسب
المجتمع والأعراق فعند
المسيحيين ليست هي ذاتها عند
المسلمين أو عند البوذين أو
الشامين أو غيرها من المجتمعات
الدينية، فنجد أن التقي عند أحد

هذه المجمعات يعتبر كافر في نظرة المجتمع الآخر، بل أن الأمر يمتد حتى داخل المجتمع الواحد فعند المسلمين مثلا ً: الشيعة هم كفار في نظر السنين والعكس، فيا أيها الواثب كل ما أود أن أوصله لك أن الإحترام والتقوى هما مثل الأخلاق أي من صنع المجتمع.

أما بالنسبة للذكاء فهو مثل اللون فلا يد للفرد فيه وأنا متأكد أنا ترى أن تميز الفرد حسب اللون يعتبر تمييز عنصري أما الذكاء ربما كنت تظن أن التمييز به يتعبر

عادي أما الآن فحتماً ستقول أن لديك تحفظات تجاه التمييز الذكائي.

وبالنسبه للمال والطموح والتوافق في الهوايات فهذه الأمور كلها توقعنا في ذات الفخ أي فخ عدم الإستمرار فما الذي يضمن إستمرار وجود المال أو إستمرار الفرد على ذات الطموح أو ممارسة ذات الهواية وإذا قلتم لي: لا بأس بذلك وربما إلي ذلك الحين سيكون هناك سبب أخر

لإستمرار الحب، سأقول لكم وهذا أيضاً يمكن أن يحدث مع

ذات الشخص الذي يحب من أجل اللون أو الانتماء لجهة ما

وإذا كان الحب لهذه الأسباب فإن الكره أيضاً ممكن لذات الأسباب